

تفسير ابن كثير

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

يقول تعالى : وما قدر المشركون الله حق قدره ، حين عبدوا معه غيره ، وهو العظيم الذي

لا أعظم منه ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته

. قال مجاهد : نزلت في قريش . وقال السدي : ما عظموه حق عظمتهم . وقال محمد بن

كعب : لو قدروه حق قدره ما كذبوه . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس [رضي

الله عنهما] : (وما قدروا الله حق قدره) هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله [تعالى

[عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن

بذلك فلم يقدر الله حق قدره . وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ،

والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا

تحريف . قال البخاري : قوله : (وما قدروا الله حق قدره) حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ،

عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : جاء خبر من

الأخبار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد : إنا نجد أن الله - عز وجل - يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع . فيقول : أنا الملك . فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه ، تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية . و [قد] رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع من صحيحه ، والإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما ، كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم عن عبيدة ، عن [عبد الله] ابن مسعود - رضي الله عنه - بنحوه . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد الله - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن الله [تعالى] يحمل الخلائق على إصبع ، والسماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ؟ قال : فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه . قال : وأنزل الله -

عز وجل - : (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر الآية . وهكذا رواه البخاري ، ومسلم ،
والنسائي - من طرق - عن الأعمش به . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن حسن
الأشقر ، حدثنا أبو كدينة ، عن عطاء عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال : مريهودي
برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم : يوم
يجعل الله السماء على ذه - وأشار بالسبابة - والأرض على ذه ، والجبال على ذه وسائر
الخلق على ذه - كل ذلك يشير بإصبعه - قال : فأنزل الله - عز وجل - : (وما قدروا
الله حق قدره) الآية . وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي ، عن محمد بن الصلت ، عن أبي جعفر ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن
عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، به ، وقال : حسن صحيح غريب ،
لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ثم قال البخاري : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ،
حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن :
أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :
يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء يمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض "

تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر . وقال البخاري - في موضع آخر - :
حدثنا مقدم بن محمد ، حدثنا عمي القاسم بن يحيى ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن
ابن عمر ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الله يقبض يوم القيامة
الأرضين على إصبع ، وتكون السماوات يمينه ، ثم يقول : أنا الملك " . تفرد به أيضا من
هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ
آخر أبسط من هذا السياق وأطول ، فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا
إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن عبيد الله بن مقسم ، عن ابن عمر أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : (وما قدروا الله حق قدره
والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون
(ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول هكذا بيده ، يحركها يقبل بها ويدبر : " يمجده
الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم " . فرجف برسول
الله - صلى الله عليه وسلم - المنبر حتى قلنا : ليخرن به . وقد رواه مسلم ، والنسائي ،
وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم - زاد مسلم : ويعقوب بن عبد الرحمن ،

كلاهما عن أبي حازم ، عن عبيد الله بن مقسم ، عن ابن عمر ، به ، نحوه .ولفظ مسلم

- عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث - : أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : يأخذ الله سماواته وأرضيه بيده ويقول : أنا الملك ،

ويقبض أصابعه ويبسطها : أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ،

حتى إني لأقول : أساقط هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ .وقال البزار : حدثنا

سليمان بن سيف ، حدثنا أبو علي الحنفي ، حدثنا عباد المنقري ، حدثني محمد بن

المنكدر قال : حدثنا عبد الله بن عمر [رضي الله عنهما] ، أن رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - قرأ هذه الآية على المنبر : (وما قدروا الله حق قدره) حتى بلغ : (سبحانه

وتعالى عما يشركون) ، فقال المنبر هكذا ، فجاء وذهب ثلاث مرات .ورواه الإمام

الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير ، عن عبد الله بن عمرو ، وقال :

صحيح .وقال الطبراني في المعجم الكبير : حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتيبي ، حدثنا

حيان بن نافع بن صخر بن جويرية ، حدثنا سعيد بن سالم القداح ، عن معمر بن الحسن ،

عن بكر بن خنيس ، عن أبي شيبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جرير قال : قال رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - لنفر من أصحابه : " إني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر ، فمن بكى منكم وجبت له الجنة " ؟ فقرأها من عند قوله : (وما قدروا الله حق قدره) ، إلى آخر السورة ، فمننا من بكى ، ومننا من لم يبكي ، فقال الذين لم يبكوا : يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبكي ؟ فقال : " إني سأقرأها عليكم فمن لم يبكي فليتبأك " . هذا حديث غريب جدا . وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضا : حدثنا هاشم بن مرثد ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله تعالى يقول : ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي ، لو رآهن رجل ما عمل سوءا أبدا : لو كشفت غطائي فرآني حتى يستيقن ويعلم كيف أفعل بخلقى إذا أتيتهن ، وقبضت السماوات بيدي ، ثم قبضت الأرض والأرضين ، ثم قلت : أنا الملك ، من ذا الذي له الملك دوني ؟ ثم أريتهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير ، فيستيقنوها . وأريتهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ، ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون ، وقد بينته لهم " . وهذا إسناد متقارب ، وهي نسخة تروى بها

أحاديث جمعة ، والله أعلم .